

التي تُفَتِّح على مصارعة ، فهذه الكلمة لم تتوارد على السنة حتى العوام، ارتجالاً أو اعتباطاً، وإنما كلمة ورائها ما ورائها من المعاني العظيمة، فزائر يُكرم.

أما هذا الزائر العجيب الغريب فإنه الذي يُكرمنا ، الزائر يُكرمنا ويُعَدِّق علينا بكل أنواع الخيرات، والنفحات، والكرامات، فى الدنيا وفى الدين، فحينما يُقبل علينا رمضان يدخل بكثير من الهدايا يصطحبها معه حين يزوروننا.

فما نريد أن نلتفت إليه، هو على الأقل أن نستثمر هذه الفرصة، وأن نرد الجميل، فالضيف أتى بهذه الخيرات ، والبركات فلا بد أيضاً أن نقابله بكرم وإحسان، وأول ذلك أن نشكر الله تبارك وتعالى على نعمة أن يبلغنا رمضان.

يقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - فى كتاب الأذكار: " اعلم أنه يُستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة، أن يسجد شكراً لله تعالى، أو يثنى عليه بما هو أهله".

فإما أن نسجد فعلاً بعد ظهور الهلال شكراً لنعمة رمضان ، لكن هذا لم يثبت فى السنة طبعاً ، لكن المقصود المعنى ، أو على الأقل نثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله، ونحمده، ونشكره على نعمة أن مَدَّ فى أجلنا إلى أن بلغنا رمضان.

الخير العميم الذي يأتى به هذا الزائر الكريم ينهمل من أول ليلة من لياليه يقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - "إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صَفَدَتْ الشَّيَاطِينَ وَمَرَدَةَ الْجِنَّ ، وَغَلَقَتْ أَبْوَابَ النَّارِ فَلَمْ يَفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادَى مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ"

فيحرق للقلب حين يسمع هذا القول من الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-

أن يمتلئ فرحاً، وأن يطير طرباً، لأنه وجد ضالته فى حديث يحوي هدايا عديدة مجموعة فى جعبة واحدة، فقد كان الكفار اختلقوا شخصية وهمية فيما يسمونه فى عيد الميلاد (سانتا كلوزا) أو ما يُدعى (بابا نويل) وهو وهم، ويخدعون به الأطفال يوهمون أنه يأتى بالليل، ويترك لهم الهدايا بجانب الفراش ونحو ذلك.

ولله الحمد، أكرمنا الله سبحانه وتعالى بهذا الضيف الحقيقى ليس ضيفاً وهمياً ، وبركاته تعم جميع الناس ، بل أنا أعتقد أن ما يحدث فى رمضان آية من

آيات صدق وأحقية دين الإسلام؛ لأن كل إنسان في قلبه حياء يشعر بالتحول الذي يحصل بمجرد دخول رمضان، شريراً أو راغباً في الشر، يجد أنه بمجرد دخول رمضان يجد هذه الرغبة تهبط جداً في قلبه، وتقل رغبته في الشر جداً، وتتضاعف قوته في الخير.

هذا الشيء يجده كل إنسان في نفسه، حتى إن بعض الإخوة كان إذا أراد أن يذهب بعض الظالمين فيقول له آخرها لحد ما يدخل رمضان، لأن الشيطان سيكون مكبلاً، فما يجد منه من أذى أو ظلم أو كذا؛ لأنه في هذا الوقت سيكون الشر أخف من قبل أن يدخل رمضان، وزى مشاعر عجيبة جداً الإنسان يجدها ما يكاد أحد يعنى يفتقدتها، يعنى إذا دخلت المدينة مثلاً المدينة النبوية المباركة، بمجرد أن تدخل حدود المدينة بتجد مشاعر غير عادية، تغمرك السكينة والرحمة، والتقلب من مكان إلى مكان بلا شك داخل الحرم النبوي الشريف هذا يرى ويحس، مثلاً مسجد قباء من الأماكن الذي إذا دخلتها تحس كأن الملائكة تزاحمك في هذا المكان، فهذه الأشياء يقصر عنها العبارة، يعجز الإنسان عن وصفها، لكن هي من الخير العميم الذي أمتن الله الرحيم به علينا أمة الإسلام، وأمة خير الأنام محمد - صلى الله عليه وسلم -.

أول هذا الخير الذي ينهمر في رمضان، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن" والتصفيد في اللغة هو: شدُّ الأصفاد أي القيود، والأغلال في أيدي المسجونين وأرجلهم، ولذلك في رواية مسلم "وسُلسلت الشياطين" بالسلاسل وهي التي كانت تسرح عليك ***

طوال العام تؤذيك وتغويك ***

فأعانك الله عليها اليوم فقهر مردتها ***

وسلسل ساداتها ***

ليُخمد في الصدر وسواسها ***

ويخنس في القلب إغوائها ***

فمن كان اليوم أسير شهوة ملكته منذ سنين ***